

بڈھا پجاری



الحالة الاجتماعية قبل البعثة المحمدية

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير في بلاد
محمد الياسن العظمى القادري الضوي
حفظه الله تعالى

مكتبة الرينه

للطباعة والنشر والتوزيع

الحالة الاجتماعية قبل البعثة المحمدية

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد ياسر العطار
القادري الضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التاجم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز العالمي، جامع فيضان المدينة، سوق الخضار القديم، حي

سودا غران، كراتشي-باكستان.

هاتف: ٤٩٢١٣٨٩-٠٠٩٢٢١ فاكس: ٤٩٢١٣٩٤-٠٠٩٢٢١

البريد الإلكتروني: translation@dawateislami.net

overseas@dawateislami.net :

موقعنا على الإنترنت: www.dawateislami.net

أخي القارئ العزيز:

فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبو بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي قد صنّف الكتب والرسائل باللغة الأردوية،
فأخذنا على أنفسنا ترجمتها من الأردوية إلى العربية والإنجليزية
والفارسية وغيرها من اللغات، وقد جهدنا في ترجمة هذه الرسالة
من الأردوية إلى العربية وتم إخراجها بنهج دقيق متقن قبل دفعها
للطباعة ولكن العلي القدير الكامل يثبت للإنسان عجزه وضعفه
أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من علم وخبرة ودقة تصديقاً لقوله
تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾
[النساء: ٢٨/٤].

أخي العزيز: إن ظهر لك خطأ أثناء قراءةك للرسالة فلا
تتوان في إرساله لنا لتتداركه في الطبعات اللاحقة، ونرحب
بملاحظاتك النافعة، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور
يتضافر مع جهدنا جميعاً في سيرنا نحو الأفضل.

مجلس التراجع من جمعية الدعوة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين، أمّا بعد:

فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قال: خرّج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاتّبعته
حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خفتُ أو
خشيتُ أن يكون الله تعالى قد توفّاه أو قبضه قال: فجئتُ
أنظرُ فرفع رأسه فقال: «ما لك يا عبد الرحمن؟». قال:
فذكرتُ ذلك له، فقال: «إنّ جبريل عليه السلام قال
لي: ألاّ أبشرك إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: من صلّى
عليك صلّيتُ عليه ومن سلّم عليك سلّمتُ عليه»^(١).

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في "مسنده"، حديث عبد الرحمن
بن عوف، ٤٠٦/١، (١٦٦٢)، وأبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) في
"مسنده"، مسند عبد الرحمن بن عوف، ٣٥٨/١، (٨٦٦).

أيها المسلمون: إن هذا الدين القويم نعمة عظيمة
امتَنَّ الله بها على عباده، وإن الناظر في حالة الناس قبل
بعثة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرَّائِي لِجَاهِلِيَّتِهِمْ
الْجُهَلَاءُ وَمَا انْتَشَرَ فِيهِمْ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالظُّلْمَاتِ
وَالشُّرُورِ وَالْجَهَالَاتِ فَقَدْ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي دِيَاغِيرِ
ظَلَامِ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ وَظُلْمَاتِ الطُّغْيَانِ
وَالاستبدادِ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَشْجَارَ
وَالنِّيرَانَ وَكَانُوا يَنْحَرُونَ وَيَذْبَحُونَ عِنْدَ أَصْنَامِهِمْ
وَأَنْصَابِهِمْ وَيَتَقَرَّبُونَ وَيَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ إِلَيْهَا، وَكَانُوا
يَعْبُدُونَ بَنَاتِهِمْ خَشْيَةَ الْعَارِ وَالْإِنْفَاقِ، وَيَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ
خَشْيَةَ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ، وَيُعَاقِرُونَ النِّخَمَ، وَيَحْتَفُونَ بِهَا،
وَيَتَبَارُونَ فِي مَجَالِسِهِمِ الْمَيْسِرِ، حَتَّى إِتْمَمَ يَعُدُّونَ عَدَمَ
الْمُشَارَكَةِ فِيهَا عَارًا وَأَنْحَدَرَتْ أَوْضَاعُ الْمَرْأَةِ عِنْدَهُمْ إِلَى
قَاعِ سَحِيقٍ وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا وَسِيلَةً مُتَعَةً لِلرِّجَالِ لَيْسَ
عِنْدَهُمْ إِلَّا الظُّلْمُ وَالْقَسْوَةُ وَالْبَطْرُ فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَبِّرَ عَنِ
الْاِخْتِلَاطِ بَيْنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ إِلَّا بِالذَّعَارَةِ وَالْمُجُونِ

والسِّفَّاح والفاحشة وكان من المعروف في أهل
الجاهليَّة أنَّهم كانوا يَتزوَّجون بزوجات آباءهم ويبدو أنَّ
الأغلبية الساحقة من أهل الجاهليَّة لم تكن تحسُّ بعار
في الانتساب إلى هذه الفاحشة. وقصارى الكلام أنَّ
الحالة الاجتماعيَّة كانت في الحَضِيض من الضُّعْف
والعماية، فالجَهْل ضارب أطنابه، والخُرُفات لها جَوْلَة
وصَوْلَة، والناس يعيشون كالأنعام، وكانت الإنسانيَّة
تَتَحَبَّط في ببداء التِّيَه والضَّلَال، إنَّ الناظر في كلِّ هذا
يَعْلَم مدى فضل الله على العباد وعلى البشريَّة جمعاء إذ
أكرمها بمبعث خير البشريَّة محمد صلَّى الله تعالى عليه
وسلَّم؛ ليسلك بها طريق النُّور والهداية ويروضها
وساسها، ويعلمها دين الإسلام فقد أشرق ببعثه تاريخها
وانجلى ظلامها.

وؤلد رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم مَخْتُوناً
مَسْروراً مَكْحولاً ونظيفاً ما به قدر، واقعاً على يديه، رافعاً
رأسه إلى السماء، في الساعة الأخيرة من ليلة الاثنين الثاني
عشر من شهر ربيع الأوَّل المُوافق لشهر إبريل، واحد

وسبعين وخمس مئة ميلادية بعد حادثة الفيل بخمس
وخمسين يوماً^(١).

أيها المسلمون: بُعث سيّد الأنام مصباح الظّلام
حبيب المَلِك العلامّ عليه أفضل الصلاة والسلام في قومٍ
جُفَاءَ، شديدة عداوتهم قاسية طباعهم، متحجّرة عقولهم،
كالوُحوش المستنفرة، ومع ذلك كان الرسول الكريم
صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُتخلّياً عن الرذائل والسيّئات،
مُتخلّياً بالفضائل والكمالات مُتخلّقا بالأخلاق الحميدة،
مُتصفاً بالصفّات العزيزة، حتّى اشتهر في الناس بالصدّق
والأمانة، وكان يُسمّيه قومه بالصادق الأمين.

وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتعبّد
قبل البعثة في غار حراء، في أعلى جبل النور الذي يقع
شرق شمال مكّة المُكرّمة على يمين الداخل إليها، فقد

(١) ذكره القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في "المواهب اللدنية"، ١/٦٩-٧٦،
ونور الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) في "السيرة الحلبية"، ١/٧٨-٨٨،
ومحمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢هـ) في "سبل الهدى والرشاد في
سيرة خير العباد"، الباب الرابع في تاريخ مولده ومكانه، ١/٣٣٦.

كان النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلُو فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَيَتَفَكَّرُ فِي بَدِيعِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَنْظُرُ فِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى بَدِيعِ صَنَعِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَمُحْكَمِ تَدْبِيرِهِ، وَعَظِيمِ إِبْدَاعِهِ.

وَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، فَقَامَ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَهَذَا لَا يُخَالِفُ مَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجِبْتَ لَكَ النَّبُوءَةُ؟ قَالَ: «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»^(١). فَالنَّبُوءَةُ ثَابِتَةٌ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلْمِ اللهِ مِنْذِ الْأَزَلِّ، وَأَنَّه خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا مَا كَلَّفَ بِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سِنِّ الْأَرْبَعِينَ فَهُوَ إِظْهَارُ لَمَّا كَانَ مِنْذِ الْأَزَلِّ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى. وَفِي نَهَارِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ

^(١) أخرجه الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في "سننه"، كتاب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٣٥١/٥، (٣٦٢٩).

نَزَلَ الْوَحْيَ الْأَوَّلَ مَرَّةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، حَيْثُ جَاءَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ١/٩٦-٥].

ثم أنزل الله تعالى على رسوله بعد أن فتر الوحي مدة: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنذِرُ ﴿١﴾ ثُمَّ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتِيَابِكَ

فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ [المنذر: ١/٧٤-٥]. فقام النبي

الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم مُمْتَثِلًا لِأَمْرِ رَبِّهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، وَاتِّقَاءً بِهِ، فَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَبَدَأَ دَعْوَتَهُ سِرًّا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ يَلْتَقِي بِالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ الْمُقَرَّبِينَ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، وَمِنَ الصَّبِيَّانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَمِنَ الرَّجَالِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الَّذِي أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَمْسَةٌ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَهُمْ: عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

بن عَوْفٍ، وسعد بن أَبِي وَقَّاصٍ وطلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنهم^(١).

اعلموا إخواني المسلمين أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بادر إلى التصديق به وصار من دُعاة الإسلام ونشط في دعوته إلى الله تعالى، فينبغي على المسلم أن يدعوا الناس إلى الله تعالى، ويُخرجهم من الظلمات إلى النور ومن ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإسلام، ومن ظلمات البدع إلى نور السنة، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة والهداية، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ويستمر في دعوته ويمضي إلى غايته؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى كانت حافزاً قوياً على النشاط في إذاعتها والمضي في سبيل انتشارها، وقد أخبرني رجل من مدينة "كراتشي" قال: شاركتُ مع أصدقائي في الاجتماع العالمي الذي

(١) ذكره القسطلاني في "المواهب اللدنية"، ١/١١٥، ونور الدين الحلبي في "السيرة الحلبية"، ١/٣٩٣-٣٩٥، وابن هشام (ت ٢١٣هـ) في "السيرة النبوية"، ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر، ص ١٠٠.

عقدته جَمْعِيَّة الدعوة الإسلامية، ولكن وللأسف الشديد
 أَعْرَضْنَا عن سماع المُحَاضِرَات الإسلامية واشتغلنا بلغو
 الكلام وشُرْب السجائر، فمرَّ بنا شيخ كبير فسَلَّم علينا،
 وقال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بقِصَّة عجيبة، فيها دُرُوس وَعِبَر فقلنا
 له: ما هي؟ قال: كنت أَشْرَب الدُّخَانَ بمجالسة السُّوء
 تعاطيت المسكرات وبقيتُ ستَّ عشر سنةً، أبْذُل فيها
 كلَّ ما أَقْدُرُ عليه، فلَمَّا رَأَى أَهْلِي ما يحلُّ بي وما أَقاسيه
 من الذلَّةَ وَالْمَشَقَّةَ عَذَلُونِي بسبب العادات الشَّنِيعَةِ ثم
 أَخْرَجُونِي مِنَ البَيْتِ وَطَرَدُونِي، فسَأَلْتُ النَّاسَ وَأَكَلْتُ
 وَرَقَ الخَسِّ وَالْبَقْلَ وغير ذلك حتَّى إِنِّي قد أَفْنَيْتُ عُمْرِي
 وشَبَابِي فِي الذنوب والمعاصي ولم أُبَالِ بِالْمُحَرَّمَاتِ،
 فَصِرْتُ كَالْمَحْنُونِ الْمَخْبُولِ، وفي ليلة السابع والعشرين
 من شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارِكِ كُنْتُ مُسْتَلْقِيًّا فِي الطَّرِيقِ،
 فَجَاءَنِي رَجُلَانِ وَهُمَا يَلْبَسَانِ الْعِمَامَةَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، وسَأَلَانِي
 عَنِ اسْمِي بِالْتَعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ثم قالَا: لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ مَبَارَكَةٍ
 عَظِيمَةٍ الْقَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَفِيهَا فَضَائِلُ عَظِيمَةٌ وَبَرَكَاتٌ
 كَثِيرَةٌ وَنَصَحَانِي نَصَائِحَ جَلِيلَةٍ تَأَثَّرْتُ بِهَا فَقَرَرْتُ الصَّلَاةَ

في المسجد فاغتسلتُ ولَبِسْتُ ثوباً نظيفاً، فلما دَخَلْتُ
المسجد بعد ستِّ عشر سنة جَرَتِ الدُّمُوعُ من عيني
على وجهي وأخَذَتْنِي نَفْحَةٌ من نور الإيمان فتبت توبةً
صادقةً من سائر الذنوب، وارْتَبَطْتُ بالبيعة المُتَدَيِّنة من
جمعية الدعوة الإسلامية وأخَذْتُ الطريقة القادرية
الرضوية وأخَذَنِي أهلي معهم إلى البيت، وقد قاسَيْتُ
الشدائد والأهوال في سبيل العلاج مما كنت أتعاطاه من
شرب المُسكرات فلم أطق النوم ولا القَرَارَ من شدَّة
الألم وجَعَلْتُ أستغيث من شدَّة الوجع، فلمَّا رأى أهلي
ما يحلُّ بي من البُكا والحزن يَبْكُون عَلَيَّ ويرثون على
حالي، فحَضَّنِي بعضهم على شُرْبِ الدُّخَانِ عسى أجد
في ذلك بعض راحة ممَّا هو عَلَيَّ من شدَّة الألم
فَرَفَضْتُ ذلك وَتَحَمَّلْتُ المَشَقَّةَ إلى أن سَكَنَ الألم
وشفيت من مَرَضِي بإذن الله تعالى وصرْتُ داعياً إلى الله
تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وساعياً في صلاح من
حولي من المسلمين، قال الرجل: فلما قصَّ علينا هذه
القصة جعلنا نَبْكِي على الذنوب حتَّى سالت الدُّمُوع

على حُذودنا، وتُبنا إلى الله تعالى توبةً صادقةً، وارْتَبَطْنَا
بالبيئة المُتدَيِّنة من جمعية الدعوة الإسلامية.

أيها المسلمون: بدأت دعوة النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإسلام دعوة سرّية لا تعتمد على قوّة ولا سلاح، حيث كان يدعو من حوله برفق ورحمة واستمرّ على هذا مُدّة ثلاث سنّوات، ثم أمره ربّه بأن يَصْدَعَ بأمره فقال: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤/١٥]. فصدّع النبي الكريم صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر الله تعالى وجَهَرَ بدعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فما كان من المشركين إلاّ أن جعلوا يَسْخَرُونَ منه وَيَسْتَهْزِئُونَ به ويؤذونه بالقول وبالفعل، فتارةً يَتَّهَمُونَهُ بِالْجُنُونِ، وتارةً بالسَّخَرِ، وتارةً بالكهانة، ثم نشطت عداوتهم للنبي الكريم صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن كانت في أوّل الأمر محدودة لحماية عمّه أبي طالب له، ومشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا

وعابَ دِينَنَا وَسَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فِيمَا أَنْ تَكْفَهَ
عَنَّا وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَقِيقًا، وَرَدَّهُمْ
رَدًّا جَمِيلًا فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو
إِلَيْهِ، لَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَصْبِرِ قَرِيشُ
طَوِيلًا حِينَ رَأَتْهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاضِيًا فِي
عَمَلِهِ وَدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ شَرِي الْأَمْرُ وَتَزَايِدُ
وَاتْتَشَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ وَأَضْمَرُوا الْعَدَاوَةَ
وَالْحَقْدَ وَأَكْثَرَتْ قَرِيشُ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَدَامَرَتْ فِيهِ وَحَثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى حَرْبِهِ
وَعَدَاوَتِهِ وَمَقَاتَعَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَرَّرُوا مَرَاجِعَةَ أَبِي طَالِبٍ
بِأَسْلُوبِ أَغْلَظٍ وَأَقْسَى مِنَ السَّابِقِ، وَجَاءَتْ سَادَاتُ
قَرِيشَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سِنًّا
وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا وَإِنَّا قَدْ طَلَبْنَا مِنْكَ أَنْ تَنْهَى ابْنَ أَخِيكَ
فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا
وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا وَعَيْبِ آلِهَتِنَا حَتَّى تَكْفَهَ عَنَّا أَوْ نُنَازِلَهُ

وإيّاك في ذلك حتّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ، ثم انصَرَفُوا عنه فَعَظُمَ على أبي طالبِ فِرَاقُ قومه وعداوتُهُم ولم يَطِبْ نفساً بأن يخذل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبى عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أُطِيق، فظنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أنّ عمّه خاذله وأنه ضَعُفَ عن نُصْرته والقيام معه فقال له: «يا عمّ، والله لو وَضَعُوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تَرَكَتُهُ». ثم استعبر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أي: ذرفت الدموع من عينيه، فبكى ثم قام فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال: أَقْبِلْ يا ابن أخي، فَأَقْبِلْ عليه، فقال: اذْهَبْ يا ابن أخي، فقل ما أَحْبَبْتَ فوالله لا أُسْلَمُكَ^(١).

(١) ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، ص ١٠٢-١٠٤، ونور الدين الحلبي في "السيرة الحلبية"، ٤٠٧/١، ومحمد بن يوسف الصالحي في "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد"، الباب السابع في مشي قريش إلى أبي طالب ليكف عنهم رسول الله صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسلّم، ٣٢٦/٢.

أيها المسلمون: في هذا درس بليغ لدعاة الحقّ
وأهل الإصلاح في الأمة: أنّه مهما حلّوكت
الظلمات فينبغي عليهم أن يصبروا. وفي موسم الحجّ
اجتمع إلى الوليد بن المغيرة نفرٌ من قريش وكان ذا
سنّ فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر
قريش إنّّه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب
ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا،
فانطلقوا وتفرّقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمرّ
بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عن محمّد فليقل
بعضكم: إنّّه كاهن، ويقول الآخر: كذاب، والآخر:
شاعر، والآخر: ساحر، والآخر عرّاف، فإذا جاؤوا إليّ
صدقتكم، فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها
يقولون لمن مرّ بهم من حجاج العرب: لا تغتروا بهذا
الخارج الذي يدعي النبوة منّا فإنّه مجنون كاهن، وشاعر،
وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فإذا
جاؤوا وسألوه عمّا قال أولئك المُقتسمون.

قال: صدَقُوا، فصَدَرَتِ العَرَبُ من ذلك المَوسِمِ
بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشر ذكرُهُ
في بلادِ العَرَبِ كُلِّهَا^(١). قالت أسماء بنت أبي بكر رضي
الله تَعَالَى عَنْهَا: كان المشركون قُعوداً في المسجد،
يَتَذَاكَرون رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقول
في آهَتِهِمْ، فبيناهم كذلك إذ دَخَلَ رسول الله صَلَّى اللهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقاموا إليه بأجمعهم وكانوا إذا سأله
عن شيء صدَّقَهُمْ، فقالوا: أَلَسْتَ تَقُولُ كذا في آهَتِنَا
قال: «بلى» فَتَشَبَّثُوا فِيهِ بأجمعهم فأتى الصَّرِيخُ إلى أبي
بكر رضي الله عنه فقال له: أَدْرِكْ صَاحِبَكَ، فَخَرَجَ من
عندنا وإنَّ له غَدَائِرَ، فَدَخَلَ المسجد وهو يقول: ويلكم

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾ [الغافر: ٢٨/٤٠].

(١) ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، ص ١٠٥-١٠٦، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في "التفسير الكبير"، ١٦٢/٧، والبعوي في "تفسيره"، ٤٧/٣، والألوسي في "روح المعاني"، ٤٣٤/٧، والحقي في "روح البيان"، ٤٨٩/٤.

فَلَهُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ
شَيْئاً مِنْ غَدَائِرِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: تَبَارَكْتَ يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(١). قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ:
بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِفَنَاءِ
الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَقِبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ،
فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ وَدَفَعَ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّهِ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[الغافر: ٢٨/٤٠]^(٢). قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ
الْعِلْمِ: أَنَّ أَشَدَّ مَا لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ قَرِيشٍ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا فَلَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ

^(١) أخرجه أبو بكر الحميدي في "مسنده"، ١٥٥/١، (٣٢٤)، وأبو يعلى
الموصلي في "مسنده"، مسند أبي بكر الصديق، ٤٢/١، (٤٨).

^(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، سورة المؤمن، ٣/٣١٦،
(٤٨١٥).

إِلَّا كَذَّبَهُ وَآذَاهُ، لَا حُرَّ وَلَا عَبْدَ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَتَدَثَّرَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ١/٧٤-٢].^(١)

أيها المسلمون! كفار قريش كانوا لا يألون جُهداً
في التَّعَرُّضِ بِالْأَذَى لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذَوْهُ أَذِيَّةً لَا تُطَاقُ فَأَغْضَى عَنْهُمْ حِلْمًا وَهُوَ صَاحِبُ عَدَمِ الْإِنْتِقَامِ شَأْنُهُ التَّغَافُلُ، فَهُوَ وَاسِعُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ، لَمْ تَعْيِهِ الْأَعْبَاءُ وَقَدْ وَجَّهَ دَعْوَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ بِإِصْرَارٍ وَثَبَاتٍ وَصَادَفٍ مِنْ بَيْتِهِ جُمُودًا وَمُعَارَضَةً تَمَثَّلَتْ فِي رُدُودِ فِعْلٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ إِيْذَانِهِمُ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَلْقَوْا عَلَيْهِ فَرَثَ النَّاقَةِ وَسَلَاهَا وَهُوَ سَاجِدٌ فَلَمْ يَقْدِرِ أَحَدٌ عَلَى رَفْعِهِ عَنْهُ فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا حَتَّى جَاءَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ فَأَلْقَتْهُ فَعَن سَيِّدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ

(١) ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، ص ١١٣.

وسلم كان يُصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له
جُلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلي
جزور^(١) بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟
فانبعث أشقى القوم [عقبة بن أبي معيط] فجاء به، فنظر
حتى سجد النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم
فوضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني^(٢) شيئاً
لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم
على بعض ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد
لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره،
فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه ثم قال:
«اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا
عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد
مستجابة ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل و عليك بعُتْبة

(١) سلى: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة، والجزور: المنحور من الإبل، ذكره
العينى في "عمدة القاري"، كتاب الجزية، باب طرح جيف المشركين في البئر، ١٠/٥٣٨.
(٢) قوله: (لا أغنى) كذا للأكثر وللشميهني والمستملى: (لا أغير) ومعناها صحيح أي: لا أغنى
في كف شرهم أو لا أغير شيئاً من فعلهم. ذكره ابن حجر في "فتح الباري"، كتاب
الوضوء، ٣١٤/٢.

بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» وعدّ السابع فلم نحفظه قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيتُ الذين عدّ رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَغَى فِي الْقَلْبِ (١) قَلْبِ بَدْر (٢).

أيها المسلمون: وكان من أشدّ الناس إيذاءً للنبي الكريم صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُخْرِيَةً بِهِ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَإِنَّ الْكُفَّارَ رَدُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدًّا قَبِيحًا وَأَرْسَلُوا غِلْمَانَهُمْ وَسُفَهَاءَهُمْ يَقْفُونَ فِي وَجْهِهِ وَيَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا رِجْلَيْهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا عَنْهُ: سَاحِرٌ، وَمَجْنُونٌ، وَكَاهِنٌ، يُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُسَبُّ، وَيُضْرَبُ، وَيُشْتَمُّ، صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ هَذَا كَانَ صَابِرًا، كَانَ ثَابِتًا، يَتَحَمَّلُ كُلَّ صِعَابٍ. ففِي هَذَا دُرُوسٍ وَعِبَرٍ وَعِظَاتٍ بِالْغَةِ

(١) الْقَلْبِ: هِيَ الْبِئْرُ الَّتِي لَمْ تُطَوَّ، ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "فَتْحِ الْبَارِي"، ١٣/١٩٤، وَالنَّوَوِيُّ فِي "شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ"، الْجُزْءِ الثَّانِي عَشَرَ، ١٥٣/٦.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ"، كِتَابِ الْوُضُوءِ، ١/١٠٢، (٢٤٠).

للإخوة الدُّعاة إلى الله في كلِّ زمان ومكان، فمهما بَلَغَ السبُّ والشَّتْمُ والكَيْدُ والأذى والظُّلمُ والتسلُّطُ فإنَّ نصرَ الله قريبٌ وينبغي على المسلم أن يَسْتَمِرَّ في دَعْوَتِهِ إلى الله وَيُسَافِرَ في سبيلِ الله مع قوافلِ الإخوة الدُّعاة إلى الله تعالى لأنَّ هذا أَرْبَحُ الْمَكَّاسِبِ وَأَجْزَلُ الْمَوَاهِبِ وبذلك تُنالُ أعلى المراتب، وتتحقَّقُ أعْظَمُ المطالب.

حكى أن رجلاً أُصِيبَ بِمَرَضِ القلب فأشار عليه بعض الأطباء بجراحة شريان القلب ولكنه لم يملك نَفَقَةَ لعلاج نفسه فحرَّضه داعية على السَّفَرِ في سبيلِ الله فسافر في سبيلِ الله مع قوافلِ الإخوة الدُّعاة إلى الله وشفى من مَرَضِهِ بِبَرَكَةِ السَّفَرِ في سبيلِ الله. وأخيراً نُريدُ أن نذكر بسُنَّةٍ من سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لنحرص على الاقتداء بها، وننال الأجر العظيم، ألا وهي سُنَّةُ تَقْلِيمِ الأظافر. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أَحَبَّ سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»^(١).

(١) ذكره الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح"، ٥٥/١، (١٧٥).

وإنَّ النَّظَافَةَ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزَّيْنَةَ في شريعة الإسلام وتزيد في جمال الإنسان وتؤثّر في صحّته وقوّته وسلامته، بل إنَّ النَّظَافَةَ شُعبَةٌ من شُعبِ الإيمان، وأمّا إهمالُ النَّظَافَةِ فتسبّب كثيراً من الأمراض الجلديّة التي تضرُّ بالجسم ومن ثم فلقد شرّع الإسلام لتقليل الأظفار آداباً يتحقّق معها كمال مظهر الإنسان ونظافته، ومن تلك الآداب:

- [١]: أن يُقلّم أظفاره كلّ أسبوع والأفضل أن يكون يوم الجمعة حيث إنّه يوم اجتماع للمسلمين ولا ينبغي أن يؤخّر عن أربعين يوماً.
- [٢]: وإذا طال جداً وأراد تأخيرَه إلى يوم الجمعة فيكره^(١). [٣]: وورد في بعض الآثار النهي عن قصّ الأظافر يوم الأربعاء، فإنّه يورث البرص^(٢).

(١) "الدر المختار" و"رد المختار"، كتاب الحظر والإباحة، باب الاستبراء، فصل في البيع، ٦٦٨/٩.

(٢) ذكره الطحطاوي (ت ١٢٣١هـ) في "الحاشية على الدر المختار"، كتاب الحضر والإباحة، فصل في البيع، باب الاستبراء، ٢٠٢/٤.

[٤]: ولا يعذر في تركه وراء الأربعين^(١).

[٥]: وتقليم الظفر بالأسنان مكروه؛ لأنه يُورث
البرص^(٢). [٦]: وقصّ الظفر حالة الجنابة مكروه^(٣).

[٧]: وإذا قلم ظفره ينبغي أن يدفنه، فإن رمى به
فلا بأس، وإن ألقاه في الكنيف أو في المُغتسل يكره
ذلك؛ لأنه يُورث داءً^(٤). [٨]: وصفة تقليم أظفار اليدين
على ما يروى عن سيدنا علي رضي الله عنه: «أنه يتدئ
بخنصر اليمنى، ثم بوسطاها، ثم بإبهامها، ثم بينصرها،
ثم بمسبحتها، ثم بمسبحة الشمال، ثم بينصرها، ثم
بوسطاها، ثم بإبهامها، ثم بخنصرها»^(٥).

(١) "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء وقلم الأظفار،
٣٥٧/٥.

(٢) "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء، ٣٥٨/٥.

(٣) "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء وقلم الأظفار،
٣٥٨/٥.

(٤) "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء، ٣٥٨/٥.

(٥) ذكره بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) في "شرح سنن أبي داود"، كتاب
الطهارة، باب السواك، من الفطرة، ١/١٦٥.

وفي "الدر المختار": روي أنه بدأ بمُسَبِّحته اليمنى إلى الخنصر ثم بخنصر اليسرى إلى الإبهام وختَمَ بإبهام اليمنى^(١). فينبغي لكل مسلم أن يَعْمَلَ تارةً هذا وتارةً هذا اقتداءً بالسنة. [٩]: وقال سيدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها نقلٌ أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختَمَ بخنصر اليسرى كما في التخليل^(٢). [١٠]: ويستحبَّ غسل رءوس الأصابع بعد التقليم.

[١١]: ومن الأدب دَفْنُ الشعر والأظفار، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يأمرُ بدَفْنِ سبعة أشياء من الإنسان الشعر والظفر والدم والحِيضَة والسنن والقُلْفَة^(٣) والمَشِيمَة^(٤)».

(١) ذكره الحصكفي في "الدر المختار"، كتاب الحظر والإباحة، ٦٧٠/٩.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب أسرار الطهارة، ١٩٣/١.

(٣) القُلْفَة: الجِلْدَةُ الَّتِي تُقَطَّعُ فِي الخِتَانِ، ذكره النووي في "شرح صحيح

مسلم"، الجزء السابع عشر، ١٩٣/٩.

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادير الأصول"، ١٨٦/١.

فَنَسْأَلُ اللّٰهَ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ،
وَيَجْعَلَ حَاضِرْنَا خَيْرًا مِنْ مَاضِينَا، وَمُسْتَقْبَلْنَا خَيْرًا مِنْ
حَاضِرْنَا، وَيَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَعْمَارِنَا
أَوَاخِرَهَا.

ربيع السنن

الرجاء من الإخوة الكرام الحضور في الاجتماع الأسبوعي المنعقد تحت إشراف جمعية الدعوة الإسلامية لتعلم سنن سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم والالتزام بالسفر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى في مختلف أنحاء العالم وملاً كتيبة "الجوائز المدنية" المحتوية على الحث على الأعمال الصالحات والتزود للأخرة، وينبغي للمسلم أن يضع نصب عينيه هدفاً سامياً وهو: عليّ محاولة إصلاح نفسي وجميع أناس العالم.

ونرجو من الإخوة الكرام توزيع منشورات "مكتبة المدينة" للنفع العام ونشر

الدعوة الإسلامية وبمكنكم أن تشاهدوا منشوراتنا على موقعنا هذا:

www.dawateislami.net